والملكوتَ الظليل
ظهرها لم يُوطأ لكى يركب القادة الفاتحون
ولم يلن الجسدُ الحُر تحت سياط المروِّض
والفم لم يمتثل للجام
ولم يكن الزاد .. بالكاد
لم تكن الساق مشكولةً
والحوافر لم يك يثقلها السُّنبك المعدنى الصَّقيل
كانت الخيل برية
تتنفس حرية
مثلما يتنفسها الناس
في ذلك الزمن الذهبى النبيل

عندئذ بدا الشاعر شديد القرب مما رأيناه من مشاهد حسية رسمها للخيل إعجابا بها ، ولكنه إعجاب مرهون بتجليات تلك المفارقات بين موجب ماضيها وبين سالب حاضرها ، ومنه ما ينصرف إلى تصور ظهورها ، وجسدها الأبى ، ولجامها ، وساقها ، وعليقها ، وحوافرها ، على نحو ما بدا موزَّعا بين ثنايا اللوحة عبر الماضى الذهبى ، وقد ضاع كله فى زحام هوان الحاضر ، ومثل ذلك ما كان من موقفها فى ذلك الماضى - أيضا - من خلال أعين الناس ، وكأنها تحكمت فيهم حين حقَّقت لهم المجد ، وإلا حكمت عليهم بالخذلان والضياع ، فكان لها - آنذاك - زمام الأمور دون غيرها ، وكانت ذواتها فاعلة قبل بدء ذلك الفقد الذى آلت إليه صورتها ، ولعله قصد بمنطق الرمز - أيضا - التلميح إلى رحلة الصراع مع المرض على نحو ما قد تكشفه الصورة فى قوله :

الخيول بساطٌ على الريح
سار - على متنه - الناس للناس عبر المكان
والخيول جدار به انقسم
الناس صنفين
صاروا مشاةً وركبان